



أقيم له حفل توقيع في غاليري الأورفلي بعمان؛

مجلة يوثق أعمال الفنان العراقي إبراهيم العبدلي ويعكس خصائص أسلوبه الواقعي

عمان - «القدس العربي»

من يحيى القيسي:

«إبراهيم العبدلي: واقعية الأسلوب وشفافيته» مجلة يضم لوحات الفنان العراقي المقيم في عمان إبراهيم العبدلي صدر مؤخرا عن دار الأديب للصحافة والنشر في بغداد، وقد أقيم له حفل توقيع في غاليري الأورفلي حضره جمع غفير من المثقفين والفنانين الأردنيين والعراقيين، والكتاب المجلد ضم صورا مختارات من اللوحات التي أنجزها الفنان العبدلي عبر مسيرته التي بدأت منذ ستينيات القرن الماضي، إضافة إلى مقدمة نقدية وتعريفية لتجربة الفنان العبدلي كتبها الناقد عادل كامل.

في مجال البورتريه الشخصي أنجز العبدلي لوحات للملك فيصل الثاني ملك العراق للاحوام 1952، 1958 ومودها زيت على قماش، وابعادها 85 في 113 سم، كما أنجز البورتريهات التالية للشعراء والأدباء العرب: محمد مهدي الجواهري، نزار قباني، عبدالوهاب البياتي، فؤاد طوقان، عرار، يمني العيد، د. محمود السمره، ناصر الدين الأسد، زكريا شامر، فاروق عبدالقادر، سلمان شكر، علي السوداني، اسماعيل الشخيلي، فخري قعوار، وداود الأورفلي وغيرهم إضافة إلى عشرات البورتريهات لشخصيات أخرى معروفة أو من العامة، ومن الملاحظ أن العبدلي يجيد الاشتغال على الألوان المائية، والزيت على القماش أيضا بنفس الحرفية العالية، فهو لا يكتفي بنقل ملامح الوجود من الواقع أو الصور الفوتوغرافية بل يضيف عليها لمحة خاصة تظهر بعضا من الملامح الداخلية للشخص، وهذا يتضح من التدقيق في الأعمال وقسمات الوجود والألوان والملمعات التي تظهر في أماكن من هذه الوجود لتدل عليها.

في القسم الثاني للعمل الذي تم تخصيصه للمخيول والطيور، لوحات تعبيرية تقترب من الواقعية ترصد بعض الحركات وجمالياتها لهذه الطيور قرب إناء ماء أو مرفقة بالقرب من الشبائيك أو التشايل العراقية الطابع، كما خصص العبدلي لوحات في كتابه لاكتة مثل شارع الرشيد ببغداد خلال الأربعينيات، وسوق قديم في السعودية، ورفاق قديم في القدس، والسلم من الأعلى، ولوحات أخرى لاقتضى وقبة الصخرة، والكعبة، ومقاه وبيوت في الدمام وجدة وبغداد وعمان وطليطلة ولشواطئ دجلة، ولا سيما المراكب وصيادي الأسماك، هناك لوحة تعبيرية جميلة لنساء يملآن جسرارهن بالماء، ومن الواضح في هذه اللوحات قدرة الاشتغال على الألوان المائية والأكتة والنقاط زوايا خاصة بها، تنقل للمشاهد حميميتها وتفاعل معها وكأنها تنبض بالحياة.. الكتاب ضم أيضا قسما خاصا فيه للطبيعة الصامتة مثل الزهوريات والجرار والصحون بما تملئ من فاكهة، ولعله هنا يحاكي الواقع تماما، لكنه مع ذلك يولف بين عناصر العمل بطريقة شاعرية ليكون المنتج عملا فنيا رغم طبيعته الساكنة.

يمكن أن نجد في كتاب العبدلي أيضا اهتماما خاصا بالعربيات ولا سيما تلك التي تنتمي إلى مرحلة الأربعينيات وما تعكسه من جماليات، وقد بدأ واضحا في بعض اللوحات اقتراب الفنان من التجريد ثم التعبيرية وأخيرا الواقعية أي إن هذه العربيات قد اتضحت فيها قدرات الفنان على التولج إلى هذه المدارس التشكيلية المختلفة، ولكنه أثر كما يبدو في أعماله المتأخرة أن يعيق تجربته في ما يمكن تسميته «الواقعية الفوتوغرافية».

لم ينس العبدلي أن يضم إلى كتابه الذي أشرف على إنجازها الفنان هيتم فتح الله مجسومة من الصور التي تعكس تجربته الحياتية ودراسته وعائلته وصداقاته مع رموز الفن والثقافة العراقيين والعرب وملاحم من تجربته في التدريس والعيش في الأردن.



احدى اعمال الفنان إبراهيم العبدلي

واقعية الأسلوب وشفافيته

يقول الفنان والناقد عادل كامل في مقدمته

مجلة العبدلي: «في الرسم العراقي المعاصر هناك علاقة جد خاصة بين الرسام وأسلوبه وبين شخصيته الداخلية وأفكاره وعالمه وبين إنجازاته الفني وموضوعاته وتكنيحه أيضا: وهي علاقة تطبق لدرجة الوحدة، وبالغفهوم النقدي الحديث فهناك بنية متماسكة تتمسك بكلاسيكية العلاقة بين الفنان وأهدافه الإبداعية، نجد ذلك عند فاتق حسن ومحمد عارف ومحمد علي شاكور وعند إبراهيم العبدلي، في سياق اتجاهه شكل تيارا واقعي في الرسم المعاصر في العراق، فالفنان العبدلي المولود في 1940 في هذا الاتجاه تلقى دروسه المبكرة في الرسم على يد فاتق حسن شيخ الرسامين والموجه الأول للواقعية في ثنويها الحديثة..»

كان اختيار العبدلي لهذا التيار في فترة إبان نزعات الحداثة الأوروبية - الغربية، وهي عملية اختيار تنبع عن صلتها برؤيته والتجنية الفنية، كان هذا الطابع له صلة بالأصالة والمهارة فقلنا النقد لا يحدد مسبقا الشكل الأخير للفن، إنه يقف في الغالب إلى جانب المهارة وهي لا تتقاطع مع عالم الفنان الداخلي، والعبدلي هو واحد من الفنانين الذين تمسكوا بالمكان والثرثيات والأسلوب الجسد لمنطق سائد في الرسم العالمي، فقد انتقل باثر البصريات وامتزجت - المرثيات - بذاكرته: لم ادم العالم خيره، وأحبه فالكان له سببولوجيته وصلته برؤية الفنان من جهة، وبأسلوبه وتكنيحه من جهة ثانية، وقد جاءت تجارب إبراهيم العبدلي منذ الستينيات حتى بداية القرن الحادي والعشرين باختيار متوازن مع شخصيته.

وفي جانب آخر لم يظهر رغية في الغفر إلى أسلوب آخر، فالإصابة عنده حدوت اختياره لإعادة بناء المشهد الواقعي بحساسية تبلغ درجة الرصانة الشعرية، والأداء الموسيقي داخل بنية اللوحة، ولم يكن هذا الاختيار في أواسط الستينيات - وما بعد ذلك - إلا موقفا نادرا إزاء موضة الحديث والتجريب والمحاكاة للأنساليب الوافدة، فأختار الموضوعات اليومية، الاجتماعية، والثرثية ولم يتخذ تقليد ما هو غريب عن شخصيته والتقاليد ذات الصلة بواقعية الفن، هذا الاختيار بعد سنوات طويلة نسبيا سيغدو ظاهرة في الرسم العراقي، وقد رسخ العبدلي مع فاتق حسن وزملاؤه له مدى أهمية الواقعية في أصولها وتطورها كعلاقة جدلية مع المحيط والبشر ومع إرساء التقاليد الأخرى توازنا بين التجارب الفنية والحديثة وبالمنظور الحديث للواقعية..»

ويتابع كامل مقدمته بالقول:

«لا تفصح موضوعات الفنان الواقعية إلا عندما تنامل خفايا أسلوبه: مهارته كعازف بالفريشا، ونقل البعد السمعي إلى حساسية الألوان وتمثل المكان بتصاميم حديثة وتفحص البشر بمنظور تعبيرى، بعيدا عن الاغترار الذي يحول الأشكال إلى أشياء، أن تفحص موضوعات: الطبيعة الساكنة، الصور الشخصية، ورسومات مستمدة من مواقع العمل المختلفة، والطيور ولقطات إنسانية خاصة، عربات وخيول وأزقة كلها في هذا السياق تكتسب بعدا شافيا بالرمز، فالهارة عند ليست استعراضية، أو فخرية مجردة بل هي عبارة عن تشديد لوني راقص يتوازن

وبالع رهاقة، فالحساسية التي تمتع بها الفنان أتاحت له أن يحول الأشكال الساكنة لضرب من الموسيقى، ويمنح الصور الشخصية ملامحها التعبيرية الداخلية، ويضع لحظات العمل كتحد لقسوة الخارج، ويجعل من الطيور حركة غير قابلة للسكون فضلا عن المواقف الإنسانية بمختلف أبعادها النفسية والروحية من تنويعات تعكس نمطه بشمولية الرؤية: فخامة العمارة، وتغاينات الأضواء مع الظلال... الأشكال القديمة بما تحمل من نكري تجاه متغيرات المكان، هذه العلاقة بين الموضوعات والرسم منحت الواقعية قدرة على أن تجمّع بين الإقسان ورهافة التعبير بالرمز.

شهادتان في تجربته فاتق حسن (1989):

برهن الفنان الزميل إبراهيم العبدلي على إمكانياته الفنية المعروفة، وتلمس ذلك بمجمل أعماله الفنية زيادة على ثقافته الحساسة ولساته بضمضون أعماله، ونشعر بهذا بانفتاحه المستمرة التي أثبتت عن تجربة وخبرة استثنائية عديدة.

اسماعيل الشخيلي:

الزميل العبدلي من أبرز فئتي جيله بما قدمه من أعمال رائعة فهو فنان بغدادي تراثي شعبي أصيل بأسلوبه الواقعي الانطباعي المعاصر، رسام بطريقته الشعرية وألوانه المتميزة ذات التأثير الموسيقي، ستيقى أعماله متميزة في هذه الفترة من تاريخ الفن العراقي المعاصر.

عمل لها.

.. سلوى هل تعرفين ما هذه «المصات» بالسيارة؟ .. شرو- مصات؟ شرو- مع تشغلي من كل علكة؟ شرو راك اليوم ننزل إلى السوق. يوجد تزيلات... و أمتلات بالخجل: «علي أن أوقع، دون أن أعرف على ماذا أوقع».. وبدأ السائقون ترمدهم واحداً وراء الآخر بالتواطؤ مع رئيس لجنة المشتريات، المهندس عم توفق أشغالنا.. نريد رئيس لجنة الصيانة السابق.

مقصات.. مصات، ورحت أدور حول السيارة محاولة أن أحزر الجزء اللعين الذي يسمنه مصات. كان صوت المنبع يسوق من راديو السيارة يتحدث عن مجمع اللغة العربية ومهامه الجليلة في إنقاذ اللغة من الغزو الأجنبي!

في عز هذه الزفة، قدحت فكرة في رأسي. اتجهت إلى ديوان الدائرة وسألت بحزم وروصانة عن الطلبات السابقة للإصلاح كي أتأكد من تكرار العطل عند السائقين. ذلك لأنه على أن أمضي وراء الكتاب، وأمنع هؤلاء الملاعين من تعطيل شغل المؤسسة. هكذا أوجيت لرئيس الديوان.

تجوسوا أمام هذا الطلب وتراخضوا لخدمتي. لحسن الحظ وجدت طلباً سابقاً لسائق آخر يعرف الكتابة:

«طلب إصلاح مصات سيارة السائق محمود...»

لاوري... حين عثرت عليها مكتوبة بخط السائق، بالألف بلا همزة، اكتشفت المعنى. كانت فرحتي كبيرة لأنني التقت أصل الكلمة. إن في مصات الاحتراز. أحتجيت لألتخص الصفايح، فوجدت تعطيلاً مفتعلًا، قلت معقدة قاموسي الجديد:

.. المصات مثل الليرة، سبب الاحتراز من زفت الشوارع. أحتي رأسه موقفاً على فكرتي وعلى لغتي:

.. لازم أوصي أم العيال على طراحة، والله كلامك جوار.

وهكذا بين اللفظ الخاطي والتداول الأعمى له وقلة الخبرة العملية والإعاقات الاجتماعية والاقتصادية و... تضع أموال البلاد وأوقاتنا وتضيع أعمارنا أيضاً.

كاتب من سورية

ولأن القاف تقلب بالعامية المدنية همزة، كتبت مقصات الشاحنة «مان»، سائقها عبد الفتاح.. تحتاج إلى إصلاح. جلست أفتش في ذاكرتي عن أي قطعة في السيارة يمكن أن تسمى مقصات.. دون جدوى.

جاء أبو عبدو، كان يخصني بنظرات إعجاب كلما صادفني، ويخبر بالقول:

.. ياأنتة والله مياكنا مو هون.

ريما كان يقصد أن مياهي في بيته زوجة ثانية أو ثالثة لا أعرف، طلب إصلاح خزان المازوت في سيارته. سألته ببراءة:

.. مقطب؟

.. بربض ترضيع..

أومات براسي بخصبية، كي لا يفضي في قاموسه ذي الغمزات، وسجلت طلبه.

ثم سألته بصوت منخفض:

.. هل تتعلم «مصات»، عبد الفتاح دائماً؟

ضحك:

.. بلا معنى..

ثم أضاف مواسياً:

.. لاتأخذني بالك، يعطوها مشان ما يشتغلوا..

ولم أفهم معنى «مصات».

ثم جاء سائق آخر يشرح عملاً مجهولاً في محرك سيارته، يتبين من صوت أجهش يقول عنه: جعير. لم يقل عن أي برغي وأشير أصلاً صامولة. كان يستعصم عنهما بالانثى والذكر. جرئت أن أفهم منه أيضاً معنى مقصات لكنه لم يبلغ تساوولي.

ناديت عبد الفتاح وسألته أن يريني العطل. فتمرد بوجهي:

.. تفعلني ياأنتة شو في لوحدك.

وأشار أسفل سيارته.

ياإلهي... كانه يعرف أنني لم أفهم معنى مصات هذه.

استحضرت قطع المحرك قطعة قطعة وحاولت أن أقارنها بشكل المقص، أو أتخيلها تعمل عمل المقص. فلم أجد. استعصمت ملحقات المحرك، ثم قطع السيارة قطعة قطعة. حدثت في كتاب الحركات وتعنتت في كل جزء وكل جهاز، راجعت آلية حركته وقوانينها، ولم أصل إلى نتيجة.

اتصلت بإحدى زميلات الدراسة وكانت بدأت عملها، يعني تسلمت كرسيتها، في دائرة الخدمات الفنية. وطلعا لا

النجاح اللازم.

فوق تخرجي من الجامعة عينت في مؤسسة الحبوب، وكانت التعيينات تخضع لكل الاعتبارات المصنعة إلا اعتبار الاختصاص والميل الشخصي. افتخصنا بمكانة في التبريد، لكن فرزي إلى آل العمل في إصلاح السيور وأنواع النواقل والقينات ومحركات السيارات.. بدأت لدي معاناة من نوع خاص جداً.

.. بابا، علي الذهاب لمنطقة الصناعة والدوام فترة للتعرف على الشغل هناك.

فوجئ بطلبي، ثم اعتبره مضي.

ولأنني فتاة من عائلة محافظة، لم أدم في صناعة حماة لأترب على مصطلحات الميكانيكيين الصعبة التي وتكون تكدن مبهمة.

عينت رئيسة للجنة الصيانة في مرآب المؤسسة. صباح استلامي، جاءني رئيس لجنة المشتريات صارخاً:

.. شو في طلبيات السائقين، سياراتهم معطلة. كان غاضباً لأن منصبي الجديد سيحرمه من ميزات كثيرة كانت سهلة المثال بالتعاون مع رئيس اللجنة السابق.

في ذلك الوقت كنت أنتشج بشدة حين أسمع كلمات الفساد المعروفة.. الرضوة والاختلاس.. تغير الأمر الآن، صرت أتفهم ممارسات كل الموظفين في سورية.. كلهم بلا استثناء.

في اليوم الثاني صاح أكثر:

.. مصالغ المؤسسة واقفة..

الإصلاح.

قطبت بوجهه رافضة الصراح.

فاستأنف صارخاً أكثر:

.. انمغصت من الكلمة؟

في الحقيقة أصابني الغص، لعدة أسباب، أولها الشكوك أو اليقين بأن لجنة المشتريات مع بعض السائقين سيسرقون من ورائي.. وإذا استخدمت مصطلحاتهم فيمكنني القول «سيحرقون من ورائي» وأخرها أنني لم أفهم كلماتهم التي رموها في وجهي ومضوا، دونتها بألفاظهم نفسها، وبصموا على الطلبات لأن معظمهم كان أمياً، وضعت كفي على خدي وجلست أفكر.

بدأت بالطلب الأول:

قال عبد الفتاح:

مصات المان معطلة.

شيطانات اللغة

منهل السراج *

حين بدأت بتعلم اللغة الانكليزية، كنت في خضبة من هيبة اللغة الجديدة، معاني الكلمات ودلالاتها، رغبة من احتمالات اللفظ الواحد والجملة الواحدة، وتردد أمام قاموسها ومفرداتها.

لكن وبعد أن قطعت شوطاً، اكتشفت أنها لغة بسيطة وواضحة. الكلمات التي اقروها، هي نفسها التي أسمعتها وأنكلم بها، فلكل أمر اسم وللإسم معنى محدد، ويحضر في الذهن لأول وهلة وأخر وهلة، ويبقى هو المعنى الممتد بين الحكم والمستمع، ولا يوجد مجال للتلاعب والإبداع إلا في الآداب، وهذا متاح في كل اللغات ولا يحتاج إلى لغة خاصة، يحتاج روحاً وموهبة. أما في الشغل اليومي وتفصيل النهار الاعتيادية فلا توجد أي إمكانية للشيطنة، كما يحدث في لغتنا بين العامية والفصحى، من التباس في معاني الأقوال ودلالاتها. كذلك الأمر في اللهجات المتعددة والتي لا تخص قطراً أبغية فقط، بل وتتبع أحياناً طبائع منطقة بعينها. فلكلمات اليومية عندنا أكثر من معنى، ولكل منطقة مفرداتها ومقاصدها، ولكل عشيرة، ولكل حارة، بل لكل عيلة قاموسها الخاص بها، وأحياناً لا يفهم إلا أفراد العيلة.

أترها لغتنا الجميلة والغنية تساهم أحياناً في تعطيل أمور يومنا؟ أترها بأسرارها وتعقلا، لا تصلح إلا للفنون والجمال؟

حين درستنا مادة الحركات في كلية الهندسة، كان عدد الطلاب مائلاً وفي قبو الكلية محرران اثنتان فقط، الأول ديزل والثاني بنزين. والاثنتان معطلان. وكنا نمزح: مخبر المحطات. وكان إزدحام الطلاب حول المشرف الذي يشرح أقسام المحرك، يمتعنا نحن الطالبات من الانحسار بينهم. كنت أقت في الصف الأخير، مثل بقية البنات، انظر إلى رؤوس محمود ومحمد ونديم ونعيم ويسار.. ثم أرجع إلى البيت لأتخيل أقسام المحرك وأحفظ الدرس «تصميماً، لنيل